

وفي فلسطين . فهي أذن نقابة قومية وإداة طيبة وواعية في يد الصهيونية . وهي حسب عبارات نظامها الأساسي « تتخذ واجبا عليها تكوين نموذج جديد للعامل اليهودي ، كحصيلته لاستعمار فلسطين » . وضمن هذا الفهم ، وهذا التوجيه ، نمت الهستدروت بسرعة ، فانتقلت من ١٥٢٧٥ منخرطا في عام ١٩٢٦ الى ٢٥٢٧٨ منخرطا عام ١٩٣٠ ، ثم الى ٨٥٠٨١٨ في عام ١٩٣٦ .

لقد مدت نشاطها الى كل المجالات الاقتصادية واصبحت العمود الفقري للمشروع الصهيوني ، ونظرا الى اهدافها الصهيونية فقد شرعت في ممارسة نشاط واسع ومتعدد الاشكال يستهدف خلق القاعدة الاقتصادية للدولة اليهودية المقبلة . وهكذا احاطت الحركة العمالية اليهودية نفسها بشبكة من المؤسسات والخدمات العامة : صندوق المرض والعجز ، بورصة العمل ، شركة مقاولات ، شركة بيع المنتجات الزراعية ، تعاونية البيع بالجملة ، شبكة مدارس عمالية الخ . لقد اوكلت عملية تنسيق جميع النشاطات الاقتصادية الى هيئة خاصة اسمها جمعية العمال . ان الخدمات الاقتصادية التي تقدمها الهستدروت لم تقتصر على ما مر ، فهناك عدد من الشركات والمؤسسات التابعة لها ، مثل شركة الاستيطان العمالي « نير » شركة تعاون عمالي متبادل ، تعاونية الاسكان ، شبكة من المصارف ، شركة تأمين كانت تعمل بفضل الاسهام المالي من الحركة الصهيونية في الخارج . دون ان ننسى ان الهستدروت كانت تشرف ايضا على منظمة الدفاع اليهودي « الهاجاناه » .

وقد استطاعت النقابة الصهيونية ، بفضل هذه النشاطات ان تحتل بسرعة مكان الصدارة ، ان لم نقل موقعا احتكارييا في الاقتصاد ، فالهستدروت هي المستخدم الاكثر اهمية بعد الحكومة ، ودفعت سياستها لتمكين الطبقة العاملة اليهودية التي بصدد التكون من قاعدة اقتصادية ضرورية فذاقت التعاونيات الانتاجية ، ووفرت فرض العمل للمهاجرين ، وضمنت شركاتها تسويق المنتجات اليهودية . ان سبب هذا التوسع الاخطبوطي للهستدروت في مجالات غريبة كليا عن النقابة والمفهوم النقابي يعود اساسا الى السياسة الصهيونية الاستعمارية .

وهكذا نجد الشعارات الملبية لهذه السياسة ، فشعار « العمل اليهودي » هو معادل لشعار « الانتاج اليهودي » . وهي الشعارات التي تهدف الى الترويج لبيع منتجات الاقتصاد الصهيوني في القطاع اليهودي على حساب الانتاج العربي وللاضرار به لانه كان ينافسها بأسعار كلفتها المريحة . ولكن كما ان « العمل اليهودي » يعني عمليا طرد اليد العاملة العربية من المشاريع اليهودية ، فان « الانتاج اليهودي » يترجم نفسه في الحياة اليومية بالمقاطعة المنظمة للضائع العربية . لذلك ونتيجة لهذه السياسة ، فان مجرد اشاعة في عام ١٩٤٤ مثلا بان أحد المقاهي اليهودية في تل ابيب قد استخدم بعض العمال العرب تثير جمعا يهوديا معاديا بعد الاف المتظاهرين ، ويجد الفلاح العربي ذات المقاومة ، اذا ما تحدى المقاطعة اليهودية وحاول بيع منتجاته الزراعية في السوق اليهودية ويطرد من هناك بعنف (٥) .

كثافت الهستدروت هي الاداة الاساسية للتمييز العنصري الاقتصادي الذي مارسته الصهيونية ضد الفلاحين العرب . وهذا يتطلب من كل عضو في هذه النقابة الصهيونية ، ان يلتزم بدفع ضريبتين اجباريتين : اولا : ضريبة من اجل « العمل اليهودي » تصب في صندوق تنظيم الاضرابات ، وتسهم في جهود الهستدروت الرامية الى منع تشغيل العمال العرب ، ليس في المؤسسات اليهودية فقط وانما في البريطانية والخدمات العامة . وثانيا : ضريبة من اجل « الانتاج اليهودي » ، اي من اجل تنظيم مقاطعة الانتاج العربي . ومن الامور الجديرة بالانتباه ان اي حزب من احزاب « اليسار » الاسرائيلي ، بما في ذلك حزب المابام ، لم يعترض ، حتى ولو شكليا ، على حرمان العمال